

التاريخ في سير أبطاله

ابراهيم لنكولن

هدية الأعراس الى عالم التربية
للأستاذ محمود الخفيفيا شباب الوادي اخذوا سائر النظمه في نطقها
الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم

- ٢٢ -

جلس أبراهام ينتظر رد سيوارد بصبر فارغ وقواد قلبي ،
فانه ليجب كيف يقف منه صاحبه مثل هذا الموقف ؛ على أنه لن
يحجم عن مواجهة العاصفة وحده مهما بلغ من شدتها ، وإن
كان ليود بينه وبين نفسه أن يكون سيوارد إلى جانبه في تلك
الشدّة التي تطلّس في مثلها أحلام الرجال وإن كانت ترن الجبال ...
يود أن يستعين بصاحبه فهو واثق من كفايته مطمئن إلى إخلاسه
وما بال الرئيس تزاد سحابة المم كدرة على عيابه حتى ليبدو
للأعين كمن أخذته غاشية من حزن أليم ؟ ما باله طويل الاطراق
كثير الصمت ، لا يستمع إلى حديث زوجته إلا قليلاً ولا يشارطها
جذلاً ومرحاً ولا يشاركها ما دب في قلبها من الزهو بما باتا
يتقبلان فيه من نسمة ومخيليان به من جاه ... ؟

إنما يكرب الرئيس ما آلت إليه حال بلاده، فما به خوف أو تردد
وما هو عن البذل بضنين ؛ وإنه ليحزنه أن يكون بنو قومه
بعضهم لبعض عدو في غير موجب لذلك وهم عن الحق في عمية
من تبليل أفكارهم وتسلط المناد على نفوسهم ، وما له إلى هديهم
بالتى هي أحسن حيلة

ورضى سيوارد آخر الأمر أن يعمل مع أبراهام ، وكان
سيوارد تليل الثقة بكفاية صاحبه الارادية لأنه لم يسبق له أن
شغل منصباً إدارياً قبل هذا المنصب الخطير ، ولذلك كان يطمع
سيوارد أن تكون في يده السلطة الفعلية وتكون للرئيس الرياسة
حسب ؛ وبهذه الروح بدأ العمل مع صاحبه ...

واختار لنكولن رجالاً للحكومة كون منهم مجلسه ومن
أشهر هؤلاء نثيس ، وكان من أعظمهم كفاية بمد سيوارد؛ غير
أنه لوحظ على الرئيس أن أربعة من رجال مجلسه كانوا منافسين

له في الرياسة مما يخشى معه أن ينسوا الصالح العام من أجل العمل
على توطيد سرا كزيم توطئة للانتخاب القادم ، ولكن لنكولن
رد على هذه المخاوف بما ارتآه من اعتبارات أملاها عليه بمد نظره ،
فلكل من هؤلاء شيعة وأهوان ، وكل منهم يمثل ولايقمن الولايات
الشمالية ؛ هذا إلى ما يمله من كفايتهم ، وإنه ليركن إليهم مطمئناً
إلى وطنيتهم قائلاً إن الوقت عصيب فما يظن أن أحداً تحمده
نفسه أن يعمل لصالحه الشخصي في ظروف كذلك الظروف ...
ولما جلس لنكولن معهم حول المنضدة عرف كيف يؤلف
بين قلوبهم وكيف يحملهم على احترامه ثم محبته ثم الاذعان له
والتسليم بالتفوق . ولقد باتوا جميعاً بمحبون كيف يدبر الأمور
كما يلمسون رجل لم يمهّد إليه مثل هذا العمل من قبل ، ولو لا
أنهم يرفونه جميعاً لما صدقوا أن هذه هي أول مرة يضطلع فيها
بمثل هذا العمل

رأوه يخفض لهم جناحه ويبسط لهم مودته ويوسع صدره ؛
يستمع لأرائهم جميعاً ولا يتكلم حتى ينهوا ؛ فإذا أجهجه رأى قبله
متبسطاً ، وإذا خالف أحداً في رأيه أظهر له في دماثة سبب مخالفته
مع شدة الحرص على احترام شخصية من يخالفه وإظهار الاستعداد
للاقتناع إذا استطاع محدثه أن يزيده إيضاحاً أو يسوق له الجديد
من الحجج

وعرفوا من كتب خلاله فأعجبوا بأدبه وعذوبة روحه وقائه
سريره وطيب قلبه ؛ ولسوا شجاعته في الحق ، وأنسوا نكرانه
لدماثة ونسيانه كل شيء عدا رسالته التي يستمد منهم العون
في أداها ... وبلوا بأنفسهم صبره في الشدائد وعزيمته إذا تم
بأسر اقتنع بصوابه ؛ وتبينوا حسانته وأمانه ومد نظره ، وبهرم
فوق هذا ذهنه العميق ومنطقه المستقيم وفصاحته وقطنته ، تلك
الخلال التي جعلته أقدر الناس فيهم على أن يفصح عن آرائه لمن
إليه ، وأن يبين ما يأخذ مما يدع في كل ما يمرض له من الأمور
مهما تعقدت والتوت على غيره الأمور ...

ولقد عد كثير من المؤرخين إدارة لنكولن مجلسه على هذه
الصورة مظهراً قوياً من مظاهر عظمته ، وناحية متينة من نواحي
نجاحه ، وسلكوه بها في ثبت كبار الساسة في تاريخ الأمم ،
ولا عجب فانه ليندر أن نجد في سجل الأيام مجلساً حكومياً شعر
أعضاؤه من معاني الاحترام والمحبة بمثل ما شعر به أعضاء هذا

والخوف، والرئيس لا يجب إلا بقوله «إذا أخلى أندرسون حصن ستر نسيكوز على أما أن أخلى البيت الأبيض» ...

وبهتدى ابن الأخراج بمد طول روية إلى رأى فيه دليل قوى على حنكته السياسية حتى لكأنه مارس السياسة طول حياته، ذلك أنه يزعم أن يرسل القوات ليس غير إلى الحصن، وحنكته أن ذلك عمل إنساني لا عدوان فيه، فإذا قبل الثائرون هذا حلت المشكلة؛ أما إذا قابلوا ذلك بالقوة فمليهم إثم ما يفعلون، فهم بذلك يكونون بادئ المدران ومشعل نار الحرب... ولأهل الشمال بعد ذلك أن يدفوا عن أنفسهم المدوان إن كانت في نفوسهم حية وفي رؤوسهم نخوة الرجال...

وتسير السفن محملة بالقوت، بعد أن يرسل الرئيس نبأ عنها إلى قائد الثوار حول الحصن، ولكن للقائد لا يكاد يبصر السفن من بعد، حتى يطلق النار على الحصن فيسقط علم الاتحاد وتنسحب الحامية بمد دافع مجيد...

ويشب أهل الشمال للنبأ وثبة واحدة فلا خلاف بينهم بعد ذلك ولا تنازع، وما فيهم إلا من يريد الدفاع عن الاتحاد ورد الأهانة التي لحقت بالعلم الذي طالما خفق على رأس وشنجطون وجنوده البواسل غداة حرب الاستقلال...

وما حدث في تاريخ العالم من قبل أن تحمس شعب إلى الدعوة للجهاد كما تحمس أهل الشمال يومئذ؛ فلقد كان الشيوخ قبل الشباب يريدون خوض غمار الحرب، ولم يتخلف النساء ولم يقعدن عن شحذ المزامم واستنهاض الهمم وإن لم تكن هناك حاجة إلى سمين... أما الشباب البواسل فقد استحبوا الموت على الحياة فساروا مقتبطين يطرحون نفوسهم تحت المنايا كما تما يسرون إلى نزهة لا إلى مثل عذاب الجحيم...

ومكنا تقع الحرب بين نصفي شعب واحد. ولقد كان الرئيس أكثر الناس في الشعب جيمًا نالًا، وكان تلبه الانساني الكبير يكاد يتفطر، ولكن ما الحيلة وهو يرى بناء الاتحاد أمام عينيه ينهار حجرًا بعد حجرًا؟

وحسبك دليلًا على حماسة أهل الشمال أن الرئيس عند ما أهاب بالولايات أن ترسل إليه خمسة وسبعين ألفًا من المتطوعين، هرع إليه أكثر من تسعين ألفًا، وبعد شهرين وصل المدد إلى أكثر من ثلثمائة ألف من البواسل الأبحاد

وكان الموقف قبل وصول المتطوعين إلى العاصمة أشد ما يكون

المجلس نحو رئيسهم... لا يستثنى منهم أحد، حتى سيوارد الذي كان يذل أول الأمر بتجاربه ودرأته بأساليب الحكم والسياسة، ما لبث أن اعترف في نيل وكرامة نفس أن رئيسه أقدر منه وأجدر بذلك النصب...

وكان أول ما تلقاه الرئيس من البريد في صباح اليوم الثاني لتسلمه العمل خطابًا من الجنرال أندرسون في حصن ستر ينبئه فيه أنه ما لم يصل مدد إلى الحصن فإنه لا يقوى على الدفاع عنه أكثر من أسبوع... وكان أهل الجنوب وأهل الشمال على اتفاق ألا يهاجم أنصار الانسحاب من الاتحاد الحصن إلا إذا رأوا من أهل الشمال ما يعر ذلك... وماذا عسى أن يفعل الرئيس إذن؟ أترك حامية الحصن بلا مدد أم يرسل المدد فيتحدى بذلك أهل الجنوب؟ إن عليه أن يختار بين أمرين أحلاهما مرًا

لذلك أخذ الرئيس يتدرعه بمجد نخرجا، وهو على عادته طويل الأناة لا يخطو خطوة قبل أن يحسب لكل أمر حسابًا، ولكن سيوارد بضيق ذرعا بهذه الأناة وينصح للرئيس أن يأمر بأخلاء الحصن، وكذلك يشير عليه سكوت وأس جنده؛ وهو لا يرى ما يريان فالسألة دقيقة شائكة. أو ايس التخلي عن الحصن ممناه الاعتراف ضمنا لأهل الجنوب بصواب دعوتهم إلى الانسحاب؟ ثم أليس في ذلك خروج على ما أعلن الرئيس في خطبة الاحتفال؟ وهو ان أرسل المدد إلى الحصن ألا يعتبر عمله هذا تحديًا للتأثرين فيكون بذلك هو الذي خطا أول خطوة نحو الحرب، الأمر الذي يحرص أشد الحرص أن يتجنبه؟... إذن فلا بد من الروية والتدبر والصبر...

وجاء رجلاان من الجنوب إلى العاصمة الشمالية كمثلين لدولة أجنبية يطلبان أن يفاوضا لتكوين على هذا الأساس، ولكنه رفض أن يلقاهما ولم يفعل أكثر من أن يرسل إلى كل منهما نسخة من خطبته.. وبقي الرجلان في العاصمة يجيمان الأبناء ويرسلانها إلى أهل الجنوب...

والصحف تهيب بالرئيس أن يأتي عملا إيجابيا ولكنه صامت يفكر.. والرأي العام ينل كالرجل حتى لقد أطلق للناس ألسنتهم فيه بالسوء من القول، فالرئيس غير جبان، متورط لا رأي له ولا بصيرة ولا حزم... وتفرق الناس في الشمال شيما فهم من يرى وجوب الحرب، ومنهم من لا يرضى إلا المسألة والاتفاق، ومنهم من يتذمر ويتبرم ولكنه لا يرى شيئا ولا يحس غير القلق

وشنجنطون ... ولكن أحد القواد الشجمان الموالين للرئيس لنكولن خرج من شنجنطون على رأس عدد من المتطوعين وباعت المدينة ليلاً وقبض على كثير من النوار وقتل قفراً منهم قفت ذلك في عضدهم ، وأعلنت ولاية ماري لندي بمد أن خضعت باسمها على هذا النحو انضمامها مراحة إلى الاتحاد ، وكانت هذه الحطرة من جانب أهل الشمال أولى خطواتهم الموقفة

وأعلن الرئيس لنكولن الحصار البحري على موانئ الاتحاد، الجنوبي ليقطع الصلة بينها وبين العالم ، ثم أهاب بالولايات الخاضعة له أن تمدد بمدد جديد من المتطوعين ، فابلت أن أمده بما طلب ، حتى لقد غصت وشنجنطون بهؤلاء المستبسلين الذين أراد لنكولن أن يستمض بحماستهم عما يموزم من التدريب والتنظيم وفي تلك الأيام المصيبة تزي دوجلاس خصم لنكولن القديم يسمى إلى البيت الأبيض ويقابل الرئيس ويقضى إليه بإعجاب بما أتتج من خطة ، ويمده أن يظل إلى جانبه خادماً لقضية الاتحاد وتتوثق عرى المودة بين الرجلين ، ويستأذن الرئيس سديقه الجديد أن يذبح في الناس هذا النبا ، فيأذن دوجلاس متقبلاً بمد أن يقرأ ما أعد للنشر ، ويقابل الديمقراطيون وغيرهم هذا النبا بالابتهاج ، ويشعرون بقوة جديدة يظفر بها أهل الشمال

ولابني دوجلاس يدافع عن الرئيس وسياسته يخاطب الناس في المدن يستحثهم إلى البذل والتضحية ؛ ولا يفتأ يضع بين يدي الرئيس من نصحه ومشورته ما يحرص الرئيس على الانتفاع به . ولكن يد الموت لا تمهل دوجلاس أكثر من شهرين فياتي حفته ، ويتلقى لنكولن نبأ الفجيمة فيذرف الدمع السخين ويشند به الغم حتى يمرض فؤاده ...

ولقد امتدت يد الموت قبل دوجلاس إلى شاب مجاهد كان أول أمره يعمل في مكتب لنكولن أيام كان يحترف المحاماة ؛ ولقد أعجب لنكولن بذكاء هذا الشاب وملك قلبه شدة محبته له ، فلما سار إلى العاصمة سار معه ؛ ولما تخرجت الأمور ، برز هذا الشاب الباسل الذكي يجمع الفرق ويديرها ويمدها للنضال ... إلى أن كان ذات يوم فأرسله لنكولن إلى ضفة النهر المواجهة للعاصمة ليحتل المرتفعات هناك ...

ثم ان هذا الشاب الذي يدعى الزورت ذهب على رأس جنده فاحتل الأما كن المينة ؛ وهناك بصر بعل من أعلام النوار يخفق

هولاً وخطراً ... فلم يكن لدى لنكولن سوى ثلاثة آلاف ، ولن يستطيع هؤلاء الدفاع عن العاصمة مهما كان من استباقتهم وشجاعتهم ؛ لذلك سرى الخوف في المدينة وأيقن أهلها أنها واقعة في أيدي الأعداء لا محالة

والرئيس ينتظر قدوم المتطوعين لاتقاذ المدينة من الخطر المحقق بها ؛ ذلك الخطر الذي تشتد وطأته نبعاً لسلك الولايات الحمايدة وعلى الأخص فرجينيا ؛ إذ كانت تلك الولايات تقف من النزاع موقفاً مبهماً ظن من أجلها أنها تلتزم الحيطة وإن كانت في الواقع تنزع إلى أهل الجنوب ؛ وكانت فرجينيا أقربها موقفاً من وشنجنطون لا يفصلها عنها إلا نهر ضيق . وسرعان ما أعلنت فرجينيا انضمامها إلى الاتحاد الجنوبي فبات المدو بذلك على أبواب عاصمة أهل الشمال ، بل لقد كان البيت الأبيض على مرأى من الجند ؛ لذلك شاع في الناس أن الجند سيمبرون النهر عما قريب فيستولون على مركز الحكومة ويسوقون لنكولن ويجلسه أسرى بين أيديهم ...

وتزايد القلق وعظم الهول واشتد بالناس الكرب ، والرئيس يسأل عن المتطوعين فلا يجد جواباً شافياً من أحد ، حتى يصل إلى العاصمة قطار يهرول الناس على صوت صفيره إلى المحطة فتتبع أعينهم على أول فرقة من فرق المتطوعين وهي فرقة نيويورك ، وتمظلم حماسة الجميع فيتصايحون ويرددون الأناشيد

ويظل الرئيس يبحث عن القائد الذي يوكل إليه أمر هذه الحرب فلا يجد غير رجل يدعى (لي) ، وكان يومئذ غالباً في فرجينيا وهو خير من يضطلع بهذا السب ، ولكن (لي) يرفض أن يأخذ قيادة الجيش ، فيجزع لنكولن لهذا الرفض ويكتب

ويينا هو يبحث عن قائد غيره ينذره أهل بلتيون ، وم الذين تأمروا من قبل على قتله ، أنهم لا يسمحون بمرور جند في ولايتهم لأنهم محابدون ... وينقضون بمد ذلك على فرقة قادمة من مسانرس ، كانت من أقوى الفرق وأعظمها نظاماً ، فيقتلون عدداً منها ويجرحون عدداً ، ويجعل الجرحى على محفات إلى وشنجنطون ، فتلهب جراحتهم حماسة القوم وتستثير حميتهم وتزيد بأسمهم ...

ولم يكتف النوار في بلتيون بما فعلوا فخطموا الجسور التي تصلهم بالشمال والجنوب ، وعللوا الخطوط الحديدية المؤدية إلى